إشكالية تأصيل مصطلحات النقد الغربي
في النقد العربي المعاصر

رجاء بن منصور

جامعة البليدة 2

ملخص المقال:

لأن المصطلح -كما هو معلوم- هو قوام العملية المعرفية والثقافية لأي علم من العلوم ، ولما كانت المصطلحات الأدبية النقدية الحديثة ذات أصل غربي، و ذات حوامل ومحمولات، ازدادت مخاطرها لأن الشكل الظاهر للمصطلح ــ ـالذي يكون في الغالب غربيا ــ يمكن أن يؤسس للتبعية المصطلحية التي تهيئ لظروف تبعية شاملة لذلك الآخر الغربي،لذا وجب الانتباه إلى المصطلح النقدي ومراجعته حتى يناسب اللفظ والفهم العربيين،وإذا رمنا رد هاته الإشكالية إلى أمر معين قلنا بأنها ترجع في أساسها إلى إشكالية المنهـــج النقدي العربي، هذا الأخير الذي ما يزال يتخبط في وعثاء التبعية وعدم وضوح الطريق. لأجل هذا كله كان لابد من مساهمة أهل الاختصاص وغيرهم في مناقشة وتحليل هاته الإشكالية لتجنب مخاطر الميوعة المصطلحية في الساحة النقدية، بل في الساحة الثقافية العربية عموما .

Le résumé

Le terme comme il est communément connu étant une base de connaissance culturelle et scientifique, ce dernier est devenu la source des critique en ce qui concerner sa signification, et toutes ces dernières comme par hasard sont d'origine occidentale, et ce qui augmente ses risque. Car la forme apparente du terme qui est souvent étrange peut établir la dépendance terminologique qui crée des situations de dépendance globale pour l'autre occident, et pour que cela cesse il faudrait donner au terme sa

vrai signification prononciation et compréhension et en plus régler ce dilemme en langue arabe.
Comme étant une approche problématique de critique arabe, et ce dernier qui bâtît encore de la dépendance et un manque de clarté, et pour cela il faut la contribution et la participation des spécialistes pour l'analyse de ces circonstances dilemine pour éviter tous les risques d'ambiguïté des termes au domaine de critique, mais c'est sur la scène culturelle en général.

إشكالية تأصيل مصطلحات النقد الغربي في النقد العربي المعاصر

لا ريب في أن النقد الأدبي قد تطور في العقود الأخيرة تطورا كبيرا،و تغير من حيث المنهج و زوايا النظر ، و أصبح يخضع لعلوم أخرى غير علم اللغة و علم الأدب ؛فتارة يهتم بالفلسفة، و تارة بالتاريخ و علم النفس و علم الاجتماع، و طورا بالتراث و حتى الاقتصاد و الأخلاق. حتى أصبح يعبر عن هذه العلوم فيما يعبر عنه ،وكأن النقد كتب عليه منذ عصور ألا ينفصل عن تلك العلوم و ألا يكون له كيانه المستقل؛ بل فرض عليه التشبث بتطبيق مناهج العلوم الإنسانية و الطبيعية في دراسة الظواهر الأدبية، و «الظواهر الأدبية ظواهر مركبة متشابكة ذات جوانب و أبعاد متعددة ، ونتيجة لهذا يجب أن تدخل في اختصاص علوم متعددة كعلم اللغة و علم الاجتماع و التاريخ و النفس، و لعل فكرة قيام أو إمكان التوصل إلى القوانين الأدبية تثير الكثير من القضايا لدى نقاد الأدب أنفسهم باعتبار أن البنايات الأدبية ليست بنايات طبيعية يمكن مقارنة بعضها ببعض [...] نظرا لأن كل ظاهرة تفرض منهجا خاصا و لذلك كان ميدان النقد الأدبي متعدد المناهج »(1)

و مما لا نقاش فيه أن تطور النقد مرهون بتطور الأدب الذي هو مرهون أيضا بتطور المجتمع، على أساس معرفة مسبقة بأوجه التفاعل أو العلاقة

التي انبنت بين النقد و الأدب و المجتمع . و مع التسليم بأن النقد العربي الحديث ولد وثيق الصلة بالنقد الغربي ،و نشا كنتيجة «للتحولات التاريخية و الاجتماعية التي عرفها المجتمع العربي منذ أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، حين وجد العرب أنفسهم مباشرة أمام معرفة الآخر (الغرب) التي خطت خطوات بعيدة جدا في مجال تحليل الإنسان و التاريخ و المجتمع و مختلف النشاطات التي نجمت عن علاقات الإنسان بالعالم » (2) كان على المثقف العربي أن يتفاعل مع هذه المعرفة الجديدة في ظل محيطه وسياقه الثقافي العربي. و من خلال الاستفادة من هذه المعرفة الغربية و تطبيقها على الثقافة العربية ، و من خلال أشكال تلقينا للفكر النقدي الغربي و طرائق تفاعلنا وتعاملنا معه وقفنا على حقيقة أن «النقد الحديث أصبح عملية إنتاجية لبلورة معرفة نقدية تواكب التحولات المعرفية على الصعيد الإنساني في تجسيد ممارسة أدبية جديدة تساير تحولات النص العربي من جهة و تتساوق مع متغيرات المجتمع من جهة ثانية » (3) . و مهما كانت المواقف الفكرية من النص النقدي أثناء تطوره في مختلف منعطفاته التاريخية ؛ فقد ظل يمتد إلى علوم أخرى بأشكال مختلفة وصور متعددة إلى أن صار ما هو عليه اليوم.

و في جل الأحوال فإن تتبع مسيرة تطور النقد من مرحلته الكلاسيكية إلى النقد المعاصر الذي أصبح يسمى (نصانيا)، في محاولة لتقويم مسار النقد ؛ يجعلنا نختزل هذا المسار في ثلاثة مراحل هي:

1 ــ/ مرحلة الشروح و الحواشي و التعليقات النحوية و اللغوية و البلاغية على النص الأدبي،و هو نقد ظل مستمرا و يجد إلى يومنا هذا من ينتصر له و يدافع عنه.

2/ مرحلة الدراسة التاريخية و الإيديولوجية للأدب،حيث أصبحت «الدراسات النقدية على اختلاف تجلياتها المنهجية و خلفياتها المعرفية تنطلق من التركيز على السياق التاريخي و المحيط الاجتماعي و الظروف النفسية و البيئة

الخارجية المؤثرة في العمل الأدبي، و المحددة لمختلف اتجاهاته و تياراته و التي تظهر بأشكال متعددة سواء في المواقف والرؤيا المعرفية و الفنية (التمييز بين الأجناس الأدبية مثلا)و سواء تعلق الأمر بالكاتب أو الظاهرة التي يمثلها أو بالعصر الذي ينتمي إليه » (4)و هنا تبرز أهمية المرجعية أو الخلفية المعرفية التي يستند إليها الناقد.

3/ مرحلة التركيز على الأشكال و نظريات التلقي و التأويل ، أو مرحلة البنيوية و ما بعدها؛ و هي مرحلة أصبح النقد فيها يركز على العنصر الجوهري المغيب في المرحلة السابقة و هو:الشكل الأدبي أو الاهتمام بالنص في ذاته، بغض النظر عن خلفياته التاريخية أو الخارجية المهيمنة في السابق ،دون ايلاء المجتمع أو الكاتب أي أهمية، بل النص ولا شيء غير النص هو المضمون الحقيقي للدراسة و الممارسة النقدية على السواء.

و كما هو ملاحظ؛ فإن خصائص و فنيات و مفردات و مصطلحات كل مرحلة من مراحل تطور مسار النقد تختلف عن المراحل الأخرى و تتميز عنها. ومن الظواهر التي تلفت نظر الباحث و المؤرخ في حقل الدراسات الأدبية أن هناك تطورا منهجيا ظهر في بنية الثقافة العربية المعاصرة في مضمار الدراسات الأدبية النقدية في مرحلة الثمانينيات ، حيث ترك الباحث أو الناقد المناهج التقليدية جانبا، وتمسك بالمناهج الحديثة ، وفي اعتباره أن هذه المناهج هي معيار لارتقاء الدراسات الأدبية ؛ غير أنه برزت إلى الساحة الأدبية إشكالية تتمثل في مدى التفاعل الكيفي مع المفاهيم و المناهج الحديثة على المستويات اللغوية ثم الفكرية ثم الثقافية ؛« فالمشاهدة الدقيقة لأغلب نصوص الدراسات الأدبية أو النقدية الجديدة تؤكد لنا أن خطوات الباحث في معالجة الآثار الأدبية تبدو غامضة ومضطربة نتيجة اعتماده على مبادئ في المعرفة النقدية الحديثة غير واضحة المعالم في بنائه الذهني أو الثقافي »(5).

و إذا أردنا الانتهاء إلى إجراء تقييم للمسار النقدي العربي، فإنه ينبغي تحديد الأسس التي ننطلق منها، والمقاصد التي نرمي إليها، و إلا انتفت أهمية البحث و زال أي مبرر لها. وكان أن ارتأينا أن نتناول موضوع المصطلح في النقد العربي ،و تأرجحه في معيار الوعي والممارسة النقدية منذ تشكله على أيدي البلاغيين العرب في القرن 5 هـ، إلى تطوره نتيجة الترجمة و الاحتكاك بالغرب في الحقبة المتصلة بما يعرف بعصر النهضة و المعاصرة الممتدة من أواخر السبعينيات إلى اليوم .و بالتالي فإن الدراسة ستكون على مستويين:

ــ أولهما : المصطلح في التراث النقدي العربي وعلاقته التي تكاد تكون منعدمة بالدراسات النقدية الحديثة .

ــ وثانيهما :المصطلح النقدي الحداثي والمعاصر و الذي جاء نتاجا لترجمة المصطلح النقدي الغربي ، مع ما صاحب هده الترجمة من تعددية . ثم محاولة هذه المصطلحات النقدية الجديدة أن تبحث لنفسها عن جذور في المعاجم العربية القديمة .

1 / المصطلح النقدي في التراث العربي:

رغم تطور الإبداع العربي و تفاوته باستمرار و اطراد ؛ إلا إن مجرد إلقاء النظر على النص القديم ، يسمح لنا بتشكيل نظرة على ملامح عامة للنص العربي التراثي تجعل منه متميزا ، بل متفوقا «فلا أحد يجادل في عطاءات الحضارة العربية الإسلامية ، ولا أحد يناقش فيما قدمه النص العربي القديم للإنسانية جمعاء ،إن الإبداع العربي غني وخصب ، تنوعت إسهاماته في مجالات الشعر والنثر و في مختلف العصور حتى تلك التي تمر عليها كتب تاريخ الأدب سريعة لأنها عصور الانحطاط ؟. قدم لنا العرب خلالها تجارب مهمة في مجالات التعبير عن الواقع وعن المتخيل ، وتنوعت اهتماماتهم وتعقدت تعقد الحياة العربية الغنية بالأحداث و التطورات »(6) ،و في هذا الصدد يمكننا أن نتساءل عن إمكانية

وضع إطار عام للنقد العربي القديم ، نحقق من خلاله مناهج الدراسة والتفسير في الظواهر الأدبية و الفنية . و بالمقابل نحدد مصطلحات هذا النقد «الذي يعرف اليوم نوعا من التقلص، كما أنه ما يزال في أحسن أحواله يقوم على السجال مع مختلف الاتجاهات النقدية التقليدية و الحديثة » (7)

وإذا نظرنا في البواكير الأولى لتشكل المصطلحات النقدية العربية ،نجد أنها خليط من التصورات ترجع في أصلها إلى الحياة العربية في جانبيها الاجتماعي و الثقافي. فقد استمد بعضها من عالم الأعراب و خيامهم <البيت ـ العمود >، ومن عالم سباق الخيل <المجلـى ـ المصلى >، ومن عالم الثياب <حسن الديباجة ـ رقيق الحواشي ـ مهلهل > ، و من عالم الحرب والشجاعة < متين الأسر > ، ومن ظروف التصارع القبلي < النقائض ـ السرقة>. وقد استمدت مصطلحات من عالم الطبيعة <هذا شعر فيه ماء و رونق >، و من الحياة الاجتماعية < الطبع و الصنعة>،بل حتى من عالم الجنس<المعاضلة والفحولة > (8).

و هكذا نجد أن المصطلحات النقدية العربية القديمة تحمل معطيات الحياة العربية من الجاهلية حتى عصر الانحطاط،«ومع تقدم الزمن و تعمق التجربة الثقافية ،تزود النقد بمصطلحات فلسفية مثل(المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعة والشعر منها كالصورة)، و مثل التشـبيهات العضويـة (الـكلام جسـد و روح، فجسده النطق و روحه معناه). ثم لامست الفلسفة النقد علي يد حازم القرطاجني في مصطلحات مثل :القوة المائزة ، و القوة الصانعة،و القوة الحافظة). وهذا عدا عدد من المصطلحات الأخلاقية مثل (الصدق و الكـذب و المبالغة والغلو والإغراق) ناهيك عن المصطلحات البلاغية من استعارة و تشبيه و إدماج وإرداف و إصطراف و إطناب و ما أضافته في تزيد و افتعال مصطلحات السرقات الشعرية من مسخ و سلخ وانتحال.....»(9)

ومنه فإن النقد العربي القديم بشقية النظري و الإجرائي لم يعاني من أزمة في صياغة المصطلحات و استخدامها، بل جاءت مؤصلة تعبر عن

خصوصية عربية بحتة، بعيدة عن الخلط و الالتباس، واضحة مفهومة تتفق في جلها على عربية اللغة وعربية الخطاب إلى حد يجعل معاجم المصطلحات النقدية العربية القديمة واضحة ، مكتملة ،متفق على صحة استعمالها في سياقاتها الثقافية و الأدبية التي تتوافق مع السياقات التي نشأت فيها.

و قد اتفق القدماء و المحـــدثون على مدي جدارة النقــد القديـم منهجـا و مصطلحا. بل أقروا «بمدى كفاية هذا المنهج و مصطلحاته لإنتاج مادة نقدية قابلة للتداول بين الأدباء و لدي المتلقين لتجمع الطرفين أو تفتح طرقـا بينهما..... وعدم وقوعها في التناقض و الخلط الذي تنتفي معه هذه الفاعلية ، وهي الأساس في الرؤية النقدية» (10)؛ لكن من الخطأ بمكان أن ندعي أننا تمكننا من تقنيــن و ضبط المصطلح النقدي العربي القديم ضبطا تاما ، إذ تصادفنا مشكلات « تناثر المصطلحات النقدية داخل الدراسة التطبيقية ، مما يحتاج إلى أناة و تمهل حتى يمكن جمع شتات تلك المصطلحات ..... كما أن كثيرا من تلك المصطلحات يتخفى في تشكلات يصعب تحديدها تحديدا جازما لا لبس فيه ، فمن الواضح أن غلبة الاستخدام المجازي بعد انفصاله عن الدلالة اللغوية قد أدى إلى كثير من اللبس و كثير من التداخل و كثير من الاضطراب» (11) بالإضافة إلى إشكالية التداخل بين المصطلح النقدي و البلاغي . و من هنا فمن الضروري تأسيس جهد عربي ينهض بجوانب خاصة بتحديد المصطلح النقدي من باب ، و تفريقه عن المصطلح البلاغي من باب آخر ذلك أن «المصطلح فيه مؤشرات على مسيرة التراث الأدبي والنقدي للأمة التي يبزغ فيها ، ولمسيرة اللغة التي يصدر عنها ؛ فهو ثمرة هذه المسيرة الأدبية و اللغوية و الإبداعية و ليس فيه أي انقطاع عن التراث الذي ألقى بظلاله على ثقافتنا الحديثة برغم كل ملامح الحداثة التي نحياها . و لا أدل على ذلك مما يكتبه المختصون عن الوشائج و العلائق بين مصطلحات لغوية و نقدية و بلاغية قديمة،و أخرى حديثة، كالتناص وعلاقته بالسرقات ، و

الانحراف الأسلوبي و علاقته بالعدول و الضرورة والشذوذ ، و الغموض وصلته بالإيهام والتعقيد،وغير هذا مما يعد فيه المصطلح التراثي إرهاصا ، بل أصلا للمصطلح الحديث» (12).

و منه فإنه من الخطأ إهمال تراث العرب المصطلحي ، و عدم الركون إليه و كأن المصطلحية العربية بدأت من فراغ . بل من المسلم به أن للنقد العربي مصطلحات كثيرة، و أن الأدباء و الباحثين قادرون على أن يأخذوا مصطلحاتهم من القديم دون أن يلجؤوا إلى العلوم المستحدثة خاصة وأن «الأدباء و المؤلفين شرعوا في وضع المصطلحات النقدية منذ عهد مبكر ، واتفقوا على كثير منها و شاع استعمالها بين الناس حتى ادعوا بأن المصطلحات القديمة فيها غنى عن السعي وراء المستحدث » (13)؛ و هذا ما يستدعى التعجيل باستقراء شمولي لمصطلحات النقاد و البلاغيين العرب القدماء و الكشف عن مسيرة المصطلح البلاغي والنقدي في تراثنا. مع مناقشة آليات صياغة المصطلح النقدي الحداثي و طرق نحته و اشتقاقه من المصطلح النقدي القديم . بعد أن تجاوزنا ـ إلى حد كبير ـ التأسيسات الأولية للمصطلح، إلى محاولة إيجاد تفصيلات أدق و أعمق لهذه المصطلحات في المشاريع المعجمية الحديثة للمصطلح النقدي. لنصل في النهاية إلى إحداث منجز مصطلحي نقدي منظم نستند إليه في دراساتنا بعد أن نتفق عليه أولا ، و لم لا إنجاز معجم مصطلحات نقدية عربية محضة ، يمكن الركون إليه و الاتفاق عليه.

غير أن الاتساع المعرفي والانفتاح الثقافي الذي شهده النقد الأدبي بموضوعاته و اصطلاحاته التي باتت في أمس الحاجة إلى تنظيمها . فرضت على الباحث منهجيات جديدة في التعامل مع المصطلح النقدي ودراسته خارج إطار المصطلح النقدي القديم ، وساد الشعور بأن الدراسة المصطلحية العربية في حقل المعجم النقدي العربي لا تزال تحبو في مقابل العلوم المستحدثة ومصطلحاتها التي انتشرت و تفشت كالنبات المتسلق. فوجدت محاولات تأصيل المصطلح النقدي العربي

نفسها تصطدم بعنف بمحاولات جديدة تهدف منذ قيامها إلى متابعة التقدم العلمي في الغرب ، ووضع المصطلحات النقدية التي تلحق بهذا العلم و تقيد مصطلحا ته. و زال الخوف من التعامل مع المصطلح الأجنبي، بل سعى الأدباء إلى تعريبه، وإلى خلق حركية نقدية كفيلة بتوليد مصطلحات جديدة. وكان ميثاقهم في ذلك ليس الاتفاق على المصطلحات منذ عهد مبكر في الزمن و النقد، بل على الاختلاف معها. و ذلك هو الاستثناء لأنه «رغم ما بين كل حقول المعرفة من قواسم مشتركة تحكم موضوع توليد الألفاظ الدالة على المفاهيم الدقيقة داخل اللسان البشري الواحد ، فإن لكل فن من أفنان المعارف خصوصيات لا غرابة أن تأتي على الأعراف اللغوية السائدة بكثير من المؤلفات الواسمة تختلف من عقل علمي لآخر» (14) .

و بالتالي أصبح النقد العربي الحديث يعاني بشقيه النظري و التطبيقي من أزمة حادة في صياغة المصطلحات المستحدثة. وهي أزمة تعبر عن نفس الأزمة التي تعاني منها كل الدول المتحدثة بالعربية، و التي تتفق على عربية اللغة و أجنبية المنهج الدارس للخطاب. بل و تتفق على أدبية النص و علمية المنهج الدارس له . و أصبحت قضية المصطلح في النقد قضية نقاشية تقر علما جديدا أطلق عليه اسم "علم المصطلح"(Terminologie)؛و هو علم مطلوب يتخصص في العمل المعجمي في مجال المصطلح.

إلا أنه ـ وللأسف ـ فأن المصطلح النقدي الحداثي ظل خاضعا للاجتهاد الشخصي و المنهجية التقليدية المفتقرة إلى أدبيات معجمية تلائم العصر، وإلى إسهامات الدرس اللساني المعاصر فضلا عن تجاهل المصادر الأساسية للمصطلحات النقدية العربية و الاحتكام إلى مصادر دخلت أدبنا عن طريق الترجمة عن الكتابات الغربية التي أصبحت هي الأصل في ثقافتنا النقدية المعاصرة .وهذا ما قاد المصطلح النقدي إلى نوع من الخلط والتعدد و الغموض بل

والالتباس ، فأصبح النقد يعاني من مصطلحا ته التي أصبحت بدورها تعاني من الترجمة.

2ـ / المصطلح النقدي و الترجمة :

من الواضح أن النقد العربي الحديث قد تأسس في لحظة قطيعة مع التراث النقدي العربي القديم المتمثل في نتاج الجاحظ ،وابن المعتز ، وابن قتيبة ، وعبد القاهر الجرجاني ، و القرطاجني وغيرهم . إذ تفتح الوعي الثقافي لرواد النهضة النقدية العربية الحديثة كأمثال طه حسين ، والعقاد ، والزهاوي ، والرصافى على مناخ الحضارة الغربية بصورة مباشرة و غير مباشرة ، وتواصلت القطيعة بعد أن توجه النقد العربي المعاصر نحو مناهج نقدية غربية وفرت للناقد حقلا معلوماتيا خصبا، و سيلا من المصطلحات في غاية الجدة و الحداثة . إذ أنه « مع التحولات التاريخية والاجتماعية التي عرفها المجتمع العربي منذ أواخر القرن التاسع عشر و بدايات القرن العشرين ؛وجد العرب أنفسهم مباشرة أمام معرفة الآخر (الغرب) التي خطت خطوات بعيدة جدا في مجال تحليل الإنسان و التاريخ و المجتمع و مختلف النشاطات التي نجمت عن علاقات الإنسان بالعالم ، وكان على المثقف العربي أن يتفاعل مع هذه المعرفة الغريبة عن محيطه و سياقه الثقافيين و لقد تحقق له ذلك من خلال :

1ــ الاطلاع عليها في منابعها عبر تعلم لغاتها (تطور التعليم) أو الدراسة في معاهدها (البعثات العلمية).

2 ــ اعتماد الترجمة أو تلخيص بعض تجلياتها ، ونقلها إلى العربية» (15).

وفي غمرة الانهماك في عمليات الترجمة ، و تطبيق المصطلحات الجديدة و صحة استخدامها ضمن مضمون ثقافي ذو خطاب عربي؛ ظهرت إشكالية الوعي العربي المعاصر الذي تشكل من بنى معرفية مستعارة من الغرب بشكل كامل، و مدى مواءمتها و ملاءمتها لخطابنا الحضاري العربي، مع وجود محاولات التأصيل و التواصل مع الموروث النقدي على قلتها و هشاشتها، مع غياب عنصري

التفاعل و التكيف مع هذه المصطلحات الجديدة في لغتها بل و حتى بعد تعريبها، أصبح الناقد عاجزا عن دمج المصطلح المعرب أو المترجم في بنية واقعه الثقافي و المعرفي ، ذلك أن «الناقد أو المترجم أخرج المصطلح من دائرة نموذجه الثقافي الغربي ، وعجز عن الربط بينه وبين نموذجنا الثقافي العربي، فأصبح مجافيا لسياقه الأصلي ، وبلا مدلول في السياق الذي نقل إليه .لأن الناقد أو المترجم كان وما يزال غير قادر على أن يتحرك بين النموذجين الثقافيين لاكتشاف معناه ؛ و أصبح استخدامه للمصطلح في النص استخداما شكليا لا جوهريا » (16) فكانت النتيجة الطبيعية أن أصبح القارئ ــ في أحيان كثيرة ــ عاجزا عن فهم معاني النص النقدي و الوصول إلى الدلالات التي ينطق بها ؛لأن القارئ لا يعرف مدلول المصطلحات النقدية المستعملة من جهة ، ولا يعرف شيئا عن الظروف الثقافية التي أحاطت بظهورها من جهة أخرى، بل لا يعرف سوى وجودها المفاجئ في بناء النص ؛ و في الساحة الأدبية العربية المعاصرة.

و لعل السبب في كون كثير من المصطلحات النقدية الحديثة المترجمة محاطة بالغموض واللافهم ، ومحط نفور من القراء و بعض الأدباء أيضا ؛ هو عجز الناقد أو المترجم عن تحديد مفهوم محدد لها لغياب مدلولاتها في بنية اللغة العربية فجاءت ترجمتها متعددة ، مختلفة ،لا قاعدة متينة تبنى عليها. و كمثال نجد :

- Iisotopie ترجم : إيزوطوبيا ـ قطب دلالي ـ تناظر.
- Syntagmatique ترجم: نظمي ـ توزيعي ـ تركيبي.
- Performance ترجم: الأداء ـ الإنجاز.
- Sequence ترجم: مقطوعة ـ متتالية ـ مقطع.
- Thèmatique ترجم: موضوعاتي ـ تيمي ـ غرضي.
- Manipulation ترجم : استعمال ـ تحريك ـ إيعاز ـ دفع ـ الترغيب {في و عن }(17).

و لو حاولنا فحص أسباب الاختلاف و التعدد لوجدنا أن المشكلة على جانب كبير من الأهمية التي تتمثل في «نقل المفهوم أو الاصطلاح من ثقافة إلى ثقافة أخرى ليس بينهما معايير واحدة في اللغة أو في الفكر يجعل المفهوم أوالاصطلاح لا يحمل نفس الدلالة في السياق الذي نشأ فيه ، أو في السياق الذي تم النقل إليه و المحصلة لذلك غياب الدلالة الأصلية عن القارئ » (18). بالإضافة إلى مشكلة عدم القدرة على معرفة مدلولاتها معرفة عقلية صحيحة من طرف المترجم أوالناقد نفسه. حيث أنه لا يتأملها ليناقشها ثم يحدد بعد ذلك مدلولها ؛ و إنما يكتفي بنقلها أو تعريبها حرفيا ، تعريبا يلائم مضمون بنية اللغة و الثقافة العربية ، و لا يلائم المضمون الثقافي الغربي. بل إن هناك من يفضل استخدام هذه المصطلحات الغربية مكتوبة باللغة العربية (Sèmantics ←السيمياء) ، (Semiology ←السيميولوجيا) ، أو ينحت مصطلحات هي عبارة عن تداخل بعض المفردات الأجنبية مع مفردات أخرى عربية ، لمحاولة الربط بين الفكر التقليدي والفكر الحديث (Système Sèmiotique ← نسق سيماطيقي) . وحتى و إن نجحت عملية الترجمة ، وخرج النقاد بمصطلح عربي يعبر ويرادف ويشرح و يعني المصطلح الغربي المترجم ؛ فإننا نصطدم بإشكالية «الاختلاف القائم بين المترجمين على مستوى المصطلح ، فلكل واحد منهم منظومته المصطلحية الخاصة به ، قد تقترب تارة و تبتعد طورا آخر من بعضها البعض . وهذا ربما يدل على أن الباحث العربي يفتقر إلى تنسيق المجهود الجماعي في إطار مجمعات علمية. وإذا حاولنا فحص أسباب الاختلاف لوجدنا أنه مشكل نسقي لساني، أي شكل المصطلح العربي، بدليل أنه يعبر عن معطى و مفهوم واحد . فالتضارب يتموقع على مستوى الشكل ليس إلا »(19).

و الغالب أننا نجد أنفسنا كقراء أمام ثلاث مدارس في الترجمة لا تكاد تتفق على ترجمة مصطلح واحد حتى تختلف في ترجمة المصطلحات الأخرى، فكتابات المصريين تختلف عن كتابات الشوام ، التي تختلف أيضا عن كتابات المغاربة؛ وكأننا

أصبحنا أمام ثلاث مدارس لغوية متخصصة في ترجمة المصطلح النقدي و نقله ، ناهيك عن الاختلافات اللفظية داخل المدرسة الواحدة.

و مع هذه التحولات الجوهرية في بنية المجتمعات العربية الحديثة في ظل الثورة المعلوماتية و التطورات التكنولوجية و الانفتاح الثقافي للشعوب على بعضها البعض. أصبح من الصعب الحديث عن " فكر عربي خالص " و لا عن " نظرية نقدية عربية " حتى أن " المصطلح النقدي العربي" أصبح غامضا و يحتاج إلى الكثير من الدراسة من قبل المفكرين و علماء اللغة والمترجمين و النقاد . ففي ظل تشكل أنساق جديدة للبنية المعرفية للناقد و المبدع العربي على السواء ، جعلته بعيدا بصورة ما عن الانتماء النفسي و الفكري للتراث الفكري النقدي و الأدبي ، و في ظل فشل محاولات بعض النقاد لربط النقد الجديد بالنقد القديم في محاولة لتأصيل المصطلح النقدي العربي؛ و في ظل حدوث قطيعة معرفية بين النقد القديم بخصوصيته العربية، و النقد الجديد بخصوصياته الغربية . و بالتالي حدوث قطيعة في المصطلح . و في ظل الانعدام التام للمصطلحات الجديدة " المترجمة " في المعاجم العربية و الكتابات القديمة حيث أصبحت تبحث لنفسها عن جذور جديدة ، و في ظل التباس المصطلحات المترجمة وتداخلها ، و ما ترتب عنها من غموض شديد ؛ تظهر أزمة المصطلح النقدي العربي ، حيث أن مهمة النقاد الكلاسيكيون المتمثلة في تتبع و تمثل كتابات النقاد القدامى ،و في الوقت ذاته ربطها بالاستعمالات النقدية الحديثة ؛ أمر من الاستحالة بمكان ، إذ أن النقد المعاصر أخذ شكلا جديدا أدخله ميادين ثقافية متعددة ، وأبعده كثيرا عن أصول النقد العربي القديم . كما أن مهمة الناقد و الباحث الجديد التي اقتصرت على مجرد نقل المصطلحات و المناهج نقلا لا يفيد القارئ أو النص أو الدراسة الأدبية في شيء يذكر؛ فهناك العشرات إن لم نقل المئات من المصطلحات الحديثة نقلت إلى العربية لكنها لم تضف جديدا للنقد و لا للثقافة العربية ، بل قامت بعملية تشويش أو تشويه لمبد ما أو لفكرة في النقد الغربي .

و من خلال تقصي مفاهيم كل من النقد الحديث و المعاصر، اكتشفنا أن النقد العربي في مرحلة ما،حين أراد تحديث الفكر و مواكبة اتجاهات الثقافة الحديثة ،عمد إلى ربط النص الإبداعي بمرجعيات مختلفة جعلته فى أغلب الأحيان مفرغا من فنيته الأدبية ،و أكسبته وظيفة علوم إنسانية لا تعبر عن كل خصائصه –و إن عبرت عن البعض منها –و لا تتميز بجماليته و فنيته،إذ أصبح يتناول أبعادا ثقافية و حضارية ونسي أنه لفظ وتعبير .كما أن هذه العملية التي يقوم بها الناقد من خلال تفسير النص في سياق خارجي، أو في مرجعية نفسية أو اجتماعية أو أنثروبولوجية؛ أقصى الجوانب الابداعية للكاتب ، و أهمل موهبته ،وأقصى النص أيضا كبنية لغوية ،بل و أغفل دور القارئ أيضا في بناء النص، فغاب عنا التمييز و التميز بين الأدباء، وزال مقياس الاستحسان و الاستهجان ،وفقد النص بريقه الأبي بعد أن اتجهت الأنظار و تركزت الأبحاث في محيطه و إطاره و سياقه ،و مرجعيته. و أصبح الناقد الأدبي يعمل بوظيفتين :ناقد أدبي، وعالم نفسي أو إجتماعي ،أوأنثروبولوجي.و في كلتا الوظيفتين يثقل كاهله منهج نقدي غربي المنشأ و المصطلح و لذلك ،فان هذه المناهج النقدية الحديثة التي نشأت نتيجة لتداخل النظريات الأدبية الغربية مع النقد العربي ،أفادت الأدب من جوانب كثيرة، و لكنها أضرته بشكل مضاعف ؛بعد أن تربعت في ساحة الدراسة التي أصبح"**الأدب**"فيها شيئا ثانويا، أو وسيلة للوصول إلى غاية هذه النظريات ذات المرجعيات الفكرية و الأيديولوجية المختلفة .لذا وجب علينا أن ننادي بمنهج نقدي يصبح فيه "**الأدب**"هو الوسيلة و هو الغاية على السواء ــ كما كان في العصور الأدبية العربية القديمة ــ ؛ دون إهمال لجميع جوانبه الفنية، و مستوياته التركيبية و البنائية، ودوافعه المعنوية، وأساليبه الإجرائية.أي منهجا يدرس النص و خلفياته ، فيحلل (المرجعية،و المبدع، و النص، و القارئ) على السواء ؛ولكن في إطار ذو خصوصية عربية منهجا و مصطلحا .

وفي الأخير نتوصل إلى أن« المصطلح النقدي الحديث ليس له جذور في تراث النقد العربي ، فهو ــ كما هو معلوم ــ من ابتكار الفكر النقدي الغربي الحديث ، و يتطلب التعامل مع مفرداته أن يتحرك الناقد في حدود مجموعة من القواعد المعرفية القائمة على أساس المقارنة بين الثقافة الغربية و الثقافة العربية من حيث اللغة ، ودلالة التعبير ، و طبيعة المعايير » (20). فمهمة الناقد هي إزالة الغموض في التعامل مع المصطلح الجديد ، وليس في نقله فقط من لغته إلى لغتنا العربية ؛ و إنما ينبغي ضبط صياغته ، وتحديد دلالته في بنية لغته الأصلية، و في بنية اللغة العربية ، ثم الاتفاق على مصطلح عربي موحد ، ثم التفكير بعد ذلك في إنشاء "معجم للمصطلحات النقدية العربية الحديثة " كاستكمال أجرائي " لمعجم المصطلحات النقدية العربية القديمة " .

الهوامش:

---

(1) ـ د / سمير سعيد حجازي .قضايا النقد الأدبي المعاصر،دار الآفاق العربية-القاهرة ط 1. 2007 ص 45. 46

(2) ـ د/ سعيد يقطين.د/ فيصل دراج. آفاق نقد عربي معاصر. دار الفكر. دمشق .و دار الفكر المعاصر بيروت. ط 1 .2003 . ص19 .20

(3) ـ المرجع نفسه ص 21

(4) ـ المرجع نفسه ص22

(5)ــ د/ سمير سعيد حجازي ـ مناهج النقد الأدبي المعاصر بين النظرية و التطبيق ، دار الآفاق العربية . القاهرة. ط 1 . 2007 ص 27 .

(6) ــ د / سعيد يقطين ، د/ فيصل دراج ـ آفاق نقد عربي معاصر . ص45. 46.

(7) ــ المرجع نفسه ص 46 .

(8) ـ د / رجاء عيد ـ المصطلح في التراث النقدي . منشأة المعارف . الإسكندرية. 2000 .(د ـ ط) ص06.

(9) ــ المرجع نفسه ص06 .

(10) ــ أحمد مطلوب ـ في المصطلح النقدي . المجمع العلمي. بغداد 2002 . ط 1 . ص 14.13 .
(11) ــ د / رجاء عيد ـ المصطلح في التراث النقدي. ص 08 .
(12) ــ عبد الرحمان ياغي ــ المصطلح النقدي بين التراث و الوعي الجمعي . مجلة أفكار . العدد 175 . 2003 . ص 32 .
(13) ــ أحمد مطلوب ـ في المصطلح النقدي . ص 14.13 .
(14) ــ عبد السلام المسدى ـ المصطلح النقدي . مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله . تونس . 1994 . (دـ ـ ط) ص 10 .
(15) ــ د / سعيد يقظين ، د / فيصل دارج ـ آفاق نقد عربي معا صر. ص 20 .
(16) ــ د / سمير سعيد حجازى ـ قضايا النقد الأدبي المعاصر. ص161 .
(17) ــ د / سعيد يقطين ـ المصطلح السردي. قضايا واقتراحات .
www/ saidyaktine .com-patrimoi-htm
(18) ــ د / سمير سعيد حجازي ـ قضايا النقد الأدبي المعاصر . ص 168 .
(19) ــ سعيد بن كراد ـ مدخل إلى السيميائيات السردية .دار تيمل للطباعة و النشر . ط 1 . 1999 . ص 97 .
(20) ــ د / سمير سعيد حجازي ـ قضايا النقد الأدبي المعاصر. ص 176 .